رأي القدس

حرب «عض الاصابع»

■ يبدو واضحا ان الولايات المتحدة الامريكية اعطت الضوء الاخضر لاسرائيل لمواصلة حربها الدموية في لبنان، وهذا يتضح من خلال تلكؤ مجلس الامن الدولي في اتخاذ قرار بوقف اطلاق النار، وافساح المجال للجهود السياسية والدبلوماسية لمعالجة جذور الأزمة.

فالشروط التي طرحتها وزيرة الخارجية الاسرائيلية لوقف اطلاق النار تبدو تعجيزية في ظاهرها وجوهرها. فكيف يمكن اطلاق سراح الجنديين الأسرائيليين الاسيرين لدى حزب الله دون شروط، وكيف يمكن ارسال قوات دولية او انشاء منطقة عازلة حدودية دون الانخراط في مفاوضات مع الطرف المعني مباشرة، اي المقاومة الاسلامية اللبنانية؟

وزيرة الخارجية الاسرائيلية ما كان يمكن ان تعرض مثل هذه الشروط لولا وجود دعم من الادارة الامريكية لها، وضوء اخضر لمواصلة الحرب التدميرية.

القوة العسكرية التي تلجأ اليها الدولة العبرية في لبنان حاليا لن تنجح في كسر ارادة حزب الله، ودفعه الى الافراج عن الجنديين بعد كل هذا الدمار وبعد هذا العدد الكبير من الشهداء في لبنان.

من المؤكد ان القيادة العسكرية الاسرائيلية التي خططت لهذه الحرب ثم نفذتها على الارض، لم تضع في حسابها عدة امور اساسية، ابرزها القدرة العسكرية لحزب الله، وصمود الشعب اللبناني وتوحده خلف المقاومة. فالحرب الحالية جاءت مختلفة عن كل الحروب السابقة، من حيث انها لم تأت من طرف واحد، اي هجوم اسرائيلي تدميري وضبط نفس عربي في المقابل.

الحرب اليوم في لبنان هي طريق في اتجاهين، وليس في اتجاه واحد، مثلما كان عليه الحال في معظم الحروب السابقة، سواء على الجبهة اللبنانية او الجبهات العربية الاخرى.

فالشعب اللبناني ليس وحده الذي يعاني وانما ايضا الشعب الاسرائيلي، وتكفي الاشارة الى حالة الرعب والذعر التي تسود صفوفه حاليا، ولجوء اكثر من مليون اسرائيلي الى الملاجئ على مدى اسبوع كامل، خوفا من صواريخ حزب الله التي وصلت الى 15 مدينة في العمق الاسرائيلي، واحدثت اضرارا مادية جنبا الى جنب مع الخسائر البشرية.

القيادة الاسرائيلية حددت موعد هذه الحرب، والاسلحة المستخدمة فيها، مثلما حددت الاهداف التي تريد تدميرها، ولكنها قطعاً لا تعرف متى ستنتهي، لان قرار انهائها لم يعد في يدها، وانما هو قرار مشترك مع الطرف الآخر، اي حزب الله.

اطالة امد الحرب ليست في مصلحة الدولة العبرية، كما ان انهاءها في الايام القليلة المقبلة ليس في مصلحتها ايضا، فكل يوم يمر يعني المزيد من الصواريخ العربية الاسلامية، والمزيد من الاسرائيليين الذين ينزلون الى الملاجئ، وانهاء الحرب دون تحقيق اهدافها، اي ازالة حزب الله من الوجود، واستعادة الجنديين الاسيرين، سيعني الحاق هزيمة واضحة بالجيش الاسرائيلي وهز صورته وقيادته في اوساط الاسرائيليين الذين يعتمدون عليه في تحقيق التفوق العسكري في منطقة عربية لا تكن الود للدولة العبرية.

انها عملية «عض اصابع» ومن المؤكد ان الطرف الاسرائيلي سيكون اول من يصرخ اذا ما طال امد الحرب، وربما يكون المخرج في اصدار قرار دولي يوقف الحرب وينقذ ماء وجه ايهود اولمرت ومن حوله من خلال تقديم بعض التنازلات الشكلية فقط.

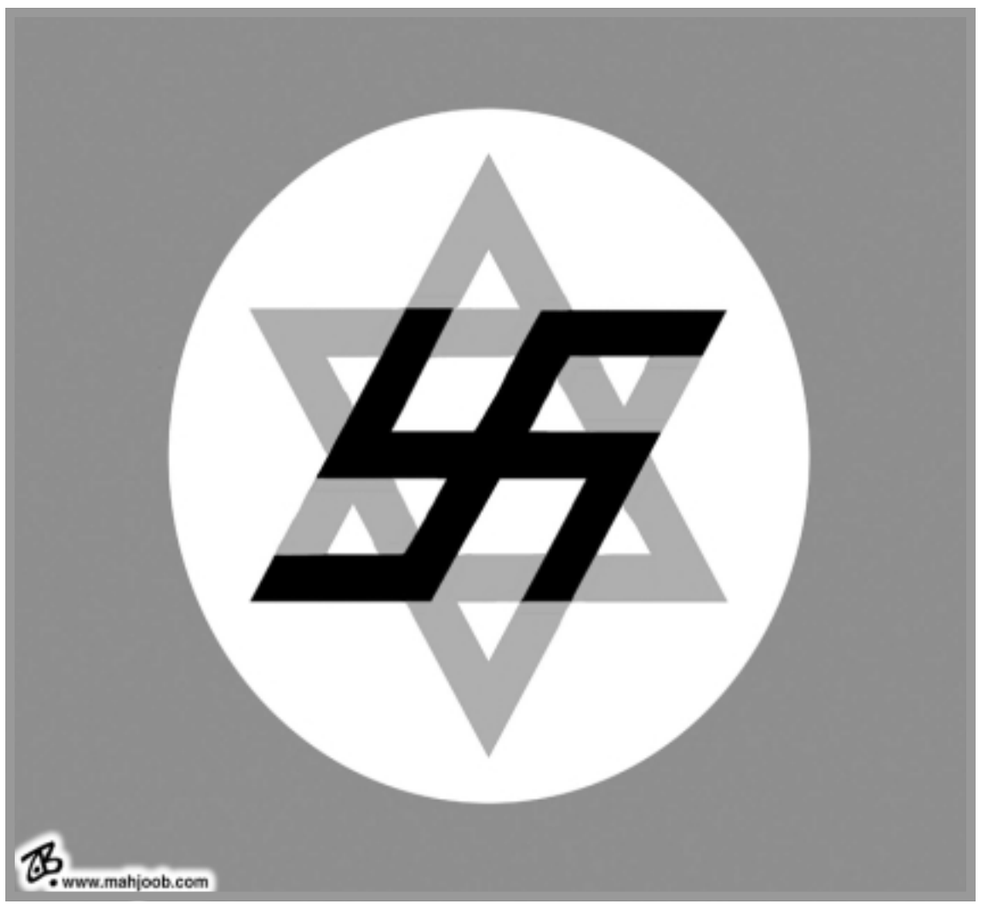

موت الشرعية الدولية

محمد كريشان

■ لن يفعلها كوفي عنان بالتأكيد: الوقوف أمام الصحافيين وإعلان وفاة ما يسمى «الشرعية الدولية» تماما كما نعى عمرو موسى ما كان يسمى يوما بـ«مسيرة السلام» بين العرب والإسرائيليين فكل ما يجري الآن في لبنان لا يمكن أن يعني سوى شيء واحد أنه لم يعد من معنى بشكل شبه كامل الحديث عن مجتمع دولي وقوانين تحكمه تميزه عن قانون الغاب. الآن وعوض أن يكون المطروح وقف هذا الجنون الإسرائيلي ضد لبنان ثم البحث عن تسوية ما يتحرك مجلس الأمن الدولي والقوى الكبرى بتثاقل مقصود للسماح لإسرائيل بإلحاق أقصى ضرر ممكن بالمدنيين والبنى التحتية لإخضاعه لتستقر قاعدة العنف وسيلة لحل النزاعات الدولية.

مفردات استقرت في أدبيات السياسة الدولية الحالية من نوع «الدفاع عن النفس» و«ضبط النفس» و«الإفراط في استعمال القوة» و«الاستعمال غير المتكافئ للقوة» وكلها باتت تقريبا اللغة الوحيدة المعتمدة في كل المؤتمرات الدولية وتصريحات المسؤولين. لقد تأمركت الآن مصطلحات السياسة الدولية بشكل شبه كامل فبعد أن أفلحت واشنطن في «تأميم» مسيرة السلام في الشرق الأوسط عبر «اللجنة الرباعية» وفرض التصور الذي تريده ونوعية المفردات المستعملة عند الحديث عن الفلسطينيين أو الإسرائيليين، ها هي تنجح اليوم في بسط «قاموسها» على قمة الدول الثماني وتحركات الأوروبيين ومقاربة مجلس الأمن للأوضاع إلى درجة أن هذا المجلس لم يتمكن حتى من الدعوة لوقف إطلاق النار واختار في المقابل أن يترك المجال والوقت لإسرائيل لترتيب الوضع كما تراه، بل إن الانحدار وصل إلى درجة غير مسبوقة حين يزعم السفير الأمريكي لدى الأمم المتحدة جون بولتون عدم وجود مساواة حتى بين الضحايا المدنيين اللبنانيين والإسرائيليين لأنه «من الخطأ المساواة أخلاقيا بين الضحايا الذين يسقطون بأعمال إرهابية (في إسرائيل) والقتلى المدنيين الذين يكونون النتيجة المأسوية لأعمال عسكرية يفرضها مبدأ الدفاع عن النفس (في لبنان).!!

إن ما يجري الآن من عدوان إسرائيلي وحشي على لبنان وهذا الاستهداف المباشر لمدنيين عزل في بيوتهم أو هم في طريقهم لمكان ما يؤويهم لا يمكن ببساطة إلا أن يقوي شوكة المتطرفين في معسكر العرب والمسلمين بل إن منطق تنظيم «القاعدة» الحاد والحاسم والمطلق في عدائه لـ«الآخر» سينتعش كثيرا في المستقبل لأنه ببساطة يجسد المنطق المقابل لـ«القاعدة» الأخرى التي يتزعمها بوش وأتباعه. إن واشنطن لا تفوت مناسبة تضعف فيها «العقلاء» و«المعتدلين» في هذه البلاد إلا وتستغلها للآخر ثم تصرخ من أين أتى هؤلاء «المجانين» حتى أن صحيفة «واشنطن بوست» تحسرت قبل يومين على أيام الرئيس الشهيد ياسر عرفات حين كتبت أن عرفات «ورغم كل عيوبه» (هكذا!) كان دائما القوة المانعة لصعود قوي لحركة حماس مع أن أبو عمار لم يُعط شيئا يجادل به خصومه ومنتقديه ورحل مذموما أمريكيا رغم كل مرونته التي خالها البعض استسلاما. واليوم أيضا لا يتركون فرصة يقللون فيها من شأن الرئيس محمود عباس إلا استغلوها وبعبارات غير لائقة أحيانا ثم يرتعدون ويقولون «من أين جاءت حماس هذه؟!!». لقد كان منطق الحركات الأصولية المتشددة منطقا غير أغلبي في الشارع العربي والمسلم ولكنه بات يتحول في هذا الاتجاه مع كل هذا الدجل الدولي الذي تقوده واشنطن. أكثر من ذلك سيأتي اليوم الذي تترحم فيه إسرائيل ليس على عرفات، فهذا قد بدأ بعد، ولكن عن حماس كذلك وحزب الله بل والسيد حسن نصر الله نفسه!!.

بعد الحرب على لبنان وانهيار «عملية السلام»

هل أصبح تفعيل جبهة الجولان ضرورة استراتيجية؟

د. عصام نعمان *

■ نعى أمين عام جامعة الدول العربية عمرو موسى، «عملية السلام» عقب ارفضاض مؤتمر وزراء الخارجية العرب في القاهرة يوم السبت الماضي. قال ان الولايات المتحدة سلّمت اسرائيل عملية السلام لتتلاعب بها كما تشاء ما أدى الى انهيارها، وان العرب سيرفعون القضية مجدداً الى مجلس الأمن لينظر بها مجدداً. صباح الخير أيتها الأوهام!

لولا غضبة الصحافيين الثائرين لما كان موسى اعترف بانهيار «العملية السياسية». لعله كان سيلجأ، مرة أخرى، الى اللغة الخشبية اياها، السائدة منذ نصف قرن ونيّف، ليطلق موقفا لا يشي الاّ بالمزيد من الشيء نفسه. لكن بطولة المقاومة اللبنانية وتقنيتها العالية ونجاحها في نقل الحرب الى العمق الاستراتيجي للعدو الاسرائيلي أعاد موسي وغيره الى رشده القومي وحمله على النطق جهاراً بما كان حريصاً على البوح به سراً.

نعم، انهارت عملية السلام بعد نفاق أمريكي ودولي مبرمج دام نحو نصف قرن، فما العمل والى أين من هنا؟

ميزان القوى في مجلس الأمن ما زال على حاله، بل لعله تطور لمصلحة اسرائيل في ضوء قمة الدول الصناعية الثماني في بطرسبرغ. صحيح ان مناصري القضايا العربية في الجمعية العامة للأمم المتحدة يشكّلون قوة وازنة، لكن القرارات الصادرة عنها تبقى بلا أسنان أو مخالب.

حتى لو افترضنا أن مجلس الأمن سيعتبر احياء عملية السلام مسألة ملّحة وجديرة بالبحث فان مجرد ادخالها في جدول أعماله لا يزيل الأفضلية المعطاة لمخاطر الوضع الميداني لحرب اسرائيل المدمرة الدائرة ضد لبنان ومقاومته الباسلة. ثم هل من سبيل الى ان نرتجي شيئا من المجتمع الدولي بكل مكوّناته اذا كانت موازين القوى في المنطقة ستبقى في مصلحة اسرائيل؟

لنرَ الأحداث باحجامها، ولنضع الأمور في نصابها. ما قامت وتقوم به اسرائيل ضد لبنان تم بضوء اخضر أمريكي، وهو يهدف الى الضغط على ايران والتضييق عليها بغية الاذعان الى ما تبتغيه منها أمريكا، في الدرجة الأولى، وبقية الدول الكبرى بصورة عامة. ممنوع على ايران، كقوة مركزية اقليمية، ان تتحكم بمنابع النفط وبطرق التجارة الدولية وأسواقها في المنطقة الاسلامية. لتحقيق هذا الغرض، أعطت الولايات المتحدة شريكتها الاقليمية اسرائيل ضوءا اخضر لمباشرة الضغط على لبنان بغية تفريغه من المقاومة الاسلامية تحت ستار تطبيق قرار مجلس الأمن 1559. اسرائيل عجزت عن انجاز هذه المهمة بفضل المفاجأة المذهلة التي أعدتها لها وللأمة كلها المقاومة الاسلامية بقيادة سيدها التاريخي حسن نصر الله. اخفاق اسرائيل لن يعوّضه لجوؤها الى تدمير لبنان بصورة منهجية شاملة، بشراً وشجراً وحجراً، ما يستوجب استشراف النتائج الرئيسية المتداعية للحدث الجلل:

● المقاومة اللبنانية قادرة على منازلة اسرائيل ومنعها من تحقيق أغراضها المعلنة (استعادة الأسيرين، ودفع مقاتلي حزب الله عشرين كيلومتراً بعيداً عن حدودها الشمالية، وتطبيق أحكام القرار 1559) بل هي قادرة ايضا، كما يبدو، على نقل الحرب الى أعماقها والحاق الأذى بها وزعزعة تماسك جبهتها الداخلية. غير ان المقاومة عاجزة وحدها عن مواجهة الأزمة المعيشية والاجتماعية الناجمة عن تدمير البنى التحتية، وتقطيع أوصال البلد، وانقطاع الكهرباء والماء، والنقص في الغذاء والدواء، وتدفق النازحين من المناطق الجنوبية المدمرة والمنكوبة، وعجز السلطات الحكومية عن ايوائهم والوفاء بمتطلباتهم.

● يُخشى، بعد اصرار الحكومة السعودية على وصف عملية المقاومة بأنها مغامرة غير محسوبة، ومبادرة النائب سعد الدين الحريري، رئيس كتلة المستقبل النيابية، الى تبني موقف السعودية والمزايدة عليها بلوم المقاومة جهاراً، يُخشى ان يؤدي ذلك كله الى تفجير فتنة بين أهل السنة والشيعة. وغني عن البيان ان الفتنة و«الفوضى الخلاقة» هما في رأس أغراض الولايات المتحدة ووسائلها المفضية الى ضرب الوحدة الوطنية وشل البلد وتقسيمه كما جرى ويجري في العراق.

● ازاء هذه التطورات، ستضطر المقاومة الاسلامية وبعض السلطات اللبنانية غير المالئة للولايات المتحدة وفرنسا الى مضاعفة اعتمادها على سورية لتوفير الغذاء والدواء وتأمين التواصل مع العالم الخارجي، يُخشى، والحالة هذه، أن تلجأ اسرائيل بالتواطؤ مع الولايات المتحدة، الى ضرب بعض المواقع والمرافق السورية ضربات تحذيرية. غير ان تجاهل سورية لهذه الاجراءات ومُواصلتها دعم لبنان قد يحمل اسرائيل على توجيه ضربات عسكرية شديدة اليها بدعوى أنها تدعم المجهود الحربي للمقاومة اللبنانية. وفي هذه الحالة، فان السؤال المطروح يصبح: ماذا ستفعل سورية؟

هل تذعن سورية لاسرائيل بدعوى عدم تكافؤ القوى العسكرية، أم ترفض الاذعان وتقرر رد الصاع صاعين، مستندةً الى معاهدتها الدفاعية مع ايران، بادئة باطلاق مقاومة شعبية، كما في لبنان، لتفعيل جبهة الجولان ضد أسرائيل؟ وهل كثير عليها ان تستبق استكمال المقاومة تنظيمها وحركتها بشنّ عمليات خاصة تقوم بها سرايا من المغاوير السوريين النظاميين، وتنسبها المقاومة السورية العتيدة الى نفسها؟ ألا يؤدي تفعيل جبهة الجولان من طرف المقاومة السورية الى تخفيف الضغط عن جبهة لبنان والى ايجاد مسوّغ اضافي لاحياء العملية السياسية في الأمم المتحدة؟

ثم ماذا ستفعل ايران؟ هل تكتفي بدعم سورية سياسيا ولوجستيا أم تبادر الى اجراء اعادة نظر جذرية في موقفها من الاحتلال الأمريكي للعراق، فتوظف نفوذها بين أهل الشيعة لتوجيه بنادقهم ضد قوات الاحتلال، وتعطيهم الضوء الأخضر لتوحيد جهودهم مع أهل السنّة المعارضين لأمريكا، ومع القوى القومية والاسلامية الناهضة بمسؤولية مقاومة الاحتلال منذ منتصف العام 2003؟

ماذا ستفعل أمريكا؟ هل تكتفي بتسليط اسرائيل عسكريا، وبقسوة، على لبنان وسورية أملاً بتدميرهما كليا لحملهما، لا سمح الله، على الاستسلام، أو التسليم بمطالبها المعلنة، أم تراها تباشر هي بالذات حربها التدميرية الشاملة ضد ايران على غرار ما فعلته بالعراق في حرب العام 1991 وفي حرب العام 2003؟

ماذا ستفعل ايران في هذه الحالة؟ هل ترضى بأن يكون مصيرها مصيرَ العراق، أم تراها تحسبت لهذا الاحتمال الخطير، فأنذرت الولايات المتحدة وغيرها من الدول الكبرى بأن المساس بها سيؤدي الى ردة فعل كاسحة وهائلة ومكلفة جداً تكون ضحيتها صناعة النفط في المنطقة، انتاجا ونقلاً واستهلاكاً؟

لعل ايران تدرك ان النفط هو جوهر الاقتصاد العالمي ومحوره ومحركه، وان أهميته الاستراتيجية قد حملت أقطاب الدول الصناعية الثماني في قمة بطرسبرغ الى التمهيد لها بالتوقيع على ميثاق غير ملزم حول «امن الطاقة العالمي» وتحديد مهلة نهائية لانهاء مباحثات اتفاق التجارة الدولية. هذا التطور الاستراتيجي يخدم ايران لأنه يؤشر الى قيد ثقيل على ارادة أمريكا وحركتها، يمنعها من الاستئثار بالدول المنتجة للنفط أو من الاستهانة بردة فعلها المرتقبة على قيام دولة كبرى بشن الحرب عليها بغية تركيعها وشل وجودها ودورها.

لعل ايران تدرك هذه الحقيقة، كما تدرك خطورة موقعها الاستراتيجي الحاكم، فلا تتهاون ازاء ما يمكن ان تبادرها به اسرائيل او الولايات المتحدة من قرارات وتدابير واعتداءات تضع مصيرها في مهب الريح.

اذا كانت ايران تدرك هذه الحقائق وتلك المخاطر، فان قرارها سيكون حاسماً اذا ما هاجمت اسرائيل سورية، وستكون ردة فعلها مساويةً في حجمها وفعاليتها لوجودها السياسي والحضاري ولدور الاسلام والمسلمين في الحاضر والمستقبل.

* كاتب وسياسي من لبنان

الثلاثي الارهابي: اسرائيل وامريكا والانظمة العربية

د. سعيد الشهابي *

■ لا صوت يعلو فوق صوت المقاومة، ولا شرف يعلو شرف الصمود امام العدوان، هذا ما يقوله المتحمسون للعمل الشعبي المواجه للاحتلال، وما يرفضه غيرهم من المستسلمين والمسايرين لقوى البغي والعدوان. المقاومون، كما قال السيد حسن نصر الله حفظه الله، ينطلقون لاسترجاع حقوقهم معتمدين على الذات، ولا ينتظرون دعما من أحد، ويستقوون بشرعية الحق ولا يبحثون عن اية شرعية اخرى. فالقانون الدولي اعطى المقاومين شرعية تصديهم للمحتلين، وبذلك تخرس ألسنة المثبطين والمرجفين. اما الآخرون، فينتظرون الآخرين لتحرير الارض او إطلاق سراح الآسرى الذين يرزحون في سجون الاحتلال، او ينتظرون مبادرات من هنا وهناك لا تصمد امام اصرار الاسرائيليين المدعومين من قبل واشنطن. يتمسك هؤلاء بسراب لا يتحقق، كأن تتدخل الامم المتحدة لصالح المظلومين وتضرب بيد من حديد على ايدي العابثين والمحتلين، ويغيب عن هؤلاء ان المنظمة الدولية أصبحت مسلوبة الارادة منذ ان قررت الولايات المتحدة العمل خارج الاطر الدولية، فلم تعد مهتمة بالاجماع الدولي، بل انها تسعى لمنع حدوثه. الادارة الامريكية، هذه المرة، كما في كل مرة، أعلنت بوضوح دعمها الارهاب الاسرائيلي بدون لف او دوران، لانه ينسجم مع اطروحاتها السياسية التي تتطلع لنزع سلاح المقاومة، وتعتبر كل من يحمل السلاح ضد الاحتلال الاسرائيلي خارجا عن الشرعية الدولية، ومستحقا للموت. السيد نصر الله قال بلسان واضح ان الاعتماد على المنظمات الدولية او الامم المتحدة لاسترجاع الحقوق او تحرير الارض او إطلاق سراح الاسرى الذين يرزحون في السجون الصهيونية، ليس مجديا، ولم يؤد الى نتائج على مدى الستين عاما الماضية منذ قيام نظام الاحتلال. فقد مضى على الانسحاب الاسرائيلي من جنوب لبنان ستة اعوام، ولم ينضح عن الامم المتحدة اية مبادرة جادة تعيد الحق الى أهله، وتؤدي الى اطلاق سراح السجناء القابعين في السجون الاسرائيلية. وأكد ان هدف العملية التي أشعلت الحرب كان محصورا باحتجاز أسرى من الجنود الصهاينة لمقايضتهم بالسجناء اللبنانيين والفلسطينيين، ولكن الاسرائيليين كانوا منذ أمد، يخططون لحرب شاملة ضد الدول التي تمردت على الارادة الامريكية وسياسات الاستعباد الصهيونية.

أسباب كثيرة أدت الى التدهور الخطير في منطقة الشرق الاوسط، ولكن أهمها عجز المجتمع الدولي عن القيام بالدور المتوقع منه لاحلال السلام والأمن في العالم. ولكن سؤالا هنا يطرح نفسه: من هو المجتمع الدولي؟ أهو الأمانة العامة للأمم المتحدة؟ أم الجمعية العمومية للمنظمة الدولية؟ أم مجلس الامن التابع لها؟ برغم أهمية دور الأمين العام للامم المتحدة، فان امكاناته محدودة، وأذرعه ملوية. اما الجمعية العمومية فهي منبر إعلامي غير فاعل، وتقتصر امكاناتها على اصدار البيانات غير الملزمة للدول الاعضاء. ويبقى مجلس الامن الدولي هو وحده القادر على اصدار القرارات التي يفترض ان تكون ملزمة للدول الاعضاء بالامم المتحدة. غير ان تفعيل تلك القرارات يتطلب امكانات مادية وعسكرية، وهذه الامكانات غير متوفرة لدى المنظمة، وبالتالي فهي تستعين بالدول الاعضاء، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية لوضع تلك القرارات موضع التنفيذ. وهنا يكمن جانب كبير من المشكلة. فواشنطن ليست طرفا مستقلا في المعادلة السياسية الدولية، بل انها طرف أساسي في أغلب الصراعات الدائرة في عالم اليوم، وبالتالي فهي تتحمس لتنفيذ القرارات التي تتناغم مع سياساتها، وتغض الطرف عن بقية القرارات. وتطورات الاسبوع الماضي تلقي بعض الضوء على هذه الحقيقة. فعندما أصدر مجلس الامن الدولي قرارا يدعو «اسرائيل» للانسحاب من غزة، بادرت الولايات المتحدة لاستخدام حق النقض (الفيتو) ضد ذلك القرار، في الوقت الذي كان الشهداء الفلسطينيون يتساقطون بالعشرات يوميا، والكثير منهم من النساء والاطفال. واشنطن لم تتردد لحظة عن التلويح باستعمال القوة ضد سورية فيما لو لم تلتزم بالقرار 1559 الصادر عن مجلس الامن الدولي الذي يطالب سورية بسحب قواتها من لبنان. واشنطن هي نفسها التي منعت اي اجراء دولي ضد «اسرائيل» عندما رفضت تنفيذ اي قرار دولي صدر ضدها، ابتداء بالقرار 242 مرورا بالقرار 338 ووصولا الى القرار 799. فهناك اكثر من سبعين قرارا عن مجلس الامن ضد الممارسات الاسرائيلية في الاراضي المحتلة، لم ينفذ الا نزر يسير منها. تلك القرارات صدرت قبل ان تصبح امريكا شريكا للاحتلال الصهيوني لفلسطين، وتمنع صدور قرارات جديدة عن مجلس الامن الدولي يدين الاحتلال الاسرائيلي في العشرين عاما الاخيرة. واشنطن تحمست كثيرا للقرارات الدولية التي صدرت ضد العراق في التسعينات، لانها كانت تنسجم مع سياساتها، بل اعتبرت تلك القرارات اقل مما ينبغي، وبادرت لشن حرب ما تزال المنطقة تدفع ثمنها حتى اليوم. وهي اليوم تخطط لاستصدار قرارات تدين ايران حول مشروعها النووي، بينما تغض الطرف عن الترسانة النووية الاسرائيلية.

هذه المواقف تدفع للاعتقاد بان الولايات المتحدة الامريكية قررت لنفسها، ليس الدفاع عن «اسرائيل» فحسب، بل ان تصبح طرفا مباشرا في الصراع ضد العرب والمسلمين الى جانب «اسرائيل» خصوصا في الشرق الاوسط. فهي تسعى لاعداد الارضية المناسبة للعدوان، وذلك باستغلال مجلس الامن لاصدار قرارات خطيرة ضد ايران وسورية، على امل تهيئة الارضية لاعتداءات مقبلة وابقاء هذه الدول مضطربة من الداخل لكي تنشغل عن «اسرائيل» تلك الغدة السرطانية التي زرعت في قلب العالم الاسلامي بدون حق، والتي اصبحت مصدر توترات أمنية وسياسية متواصلة. الموقف الدولي، بدون شك، يختلف عن الموقف الامريكي حيال اوضاع المنطقة. فزعماء روسيا والاتحاد الاوروبي والصين، كلهم اصدروا بيانات اعتبروا فيها ما تمارسه «اسرائيل» من عدوان تصرفا مبالغا فيه لا يتناسب مع عمل المجموعات المسلحة المناوئة للاحتلال. الجهة الوحيدة التي دعمت العدوان هي الولايات المتحدة التي بررت المجازر الاسرائيلية في غزة ولبنان بانه «دفاع عن النفس». ألا تعلم واشنطن ان هذه المواقف تستفز مشاعر المسلمين ومن يتعاطف معهم من شعوب العالم.

ليس سرا القول ان هناك تباينا في القدرات العسكرية والسياسية بين أطراف الصراع في المنطقة، وان الطرف الذي يمتلك قدرات مادية أكبر يسعى بدون توقف لإذلال الطرف الآخر. هذا التباين في القدرات يساهم بدون شك في الشعور بالاحباط واليأس لدى الطرف الأضعف ماديا، الأمر الذي قد يدفعه للدفاع عن النفس بوسائل غير معهودة. ان مشكلة التباين في الامكانات والقدرات بين شعوب العالم ودوله سوف تبقى سببا مهما للتوتر في العلاقات، ودافعا للعنف والارهاب. مشكلة العالم اليوم انه يسير بدون قيادة فاعلة تمتلك الامكانات التي تساعدها على الردع واحلال التوازن ومنع الاحتقانات السياسية على وجه هذا الكوكب. فمجلس الامن الدولي مكبل بنظام الفيتو الذي بالغت واشنطن في استعماله لمنع صدور قرارات تدين كيان الاحتلال الاسرائيلي. ففي فترة الحرب الباردة كان الاتحاد السوفييتي اكثر استخداما لذلك الحق، ولكن في السنوات العشر الاخيرة استعملته واشنطن 11 مرة لمنع صدور قرارات ضد «اسرائيل». كما ان الامم المتحدة تعاني من ضعف الامكانات المادية، اذ ان الولايات المتحدة مسؤولة عن ربع ميزانيتها، الامر الذي جعل المنظمة الدولية تحت رحمة الادارات الامريكية المتعاقبة. ويزيد من تعقيد الموقف الدولي عدم التوافق على بعض المصطلحات التي تحدد سياسات الامم المتحدة ومواقفها، كالارهاب وحق تقرير المصير والامن الدولي وغيرها. فالارهاب لا يقتصر على الشاب الذي يمارس العنف لأهداف سياسية، بل ان إرهاب الدولة أشد خطرا على امن البشر، وعلى السلام العالمي. وهل هناك إرهاب اشد مما مارسته قوات الاحتلال الاسرائيلية الاسابيع الاخيرة، عندما استهدفت الابرياء والمنشآت المدنية، ولم تراع حرمة لأبناء لبنان او فلسطين؟ هذا التلاعب بالالفاظ والمصطلحات ومحاولة تضليل النفس والآخرين بان هناك وحوشا تستهدف الكيان الاسرائيلي «الوديع» لا يخدم الأمن والاستقرار على الاطلاق، وهذا ما اتضح على مدى اكثر من نصف قرن، اذ لم تستقر اوضاع المنطقة منذ الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين. ويمكن القول ان المصطلحات أصبحت تمثل جانبا من الأزمة على مستوى العالم، لانها تعبر عن حقيقة ما يدور في اذهان الساسة واصحاب القرار.

في الاسبوع الماضي حذر خبراء أمريكيون من أن الولايات المتحدة ستخسر «الحرب على الارهاب» في حال اصر المسؤولون السياسيون والعسكريون على مواصلة اساءة استخدام الكلمات العربية على نحو يؤدي الى تشويه الاسلام. وقال الدكتور دوغلاس ستريوساند استاذ الاعلام بجامعة الدفاع الوطني ان «أحد أهم الامور التي ينبغي على الولايات المتحدة ان تفعلها للوصول الى الجمهور المسلم هو فهم المصطلحات الاسلامية». وضرب ستريوساند مثلا على ذلك باستخدام الأمريكيين لكلمة «جهاد» التي قال انها «تعني في الاسلام القتال في سبيل الله وتمثل شيئا جيدا للغاية لدى المسلمين في الوقت الذي يصف فيه المسؤولون الأمريكيون اعداء الولايات المتحدة بالمجاهدين وان ما يفعلونه هو جهاد وهو ما يضفي الشرعية على ممارساتهم وفقا للمفاهيم الاسلامية». اما المدير التنفيذي للجامعة الأمريكية المفتوحة استاذ الدراسات الاسلامية الدكتور عمر حجار فقد قال ان المشكلة القائمة تمتد لتتجاوز التعبيرات اللغوية بالنظر الى ان الادارة الأمريكية الحالية قد تكون غير مدركة للمشكلات الناجمة عن اساءة استخدام المصطلحات العربية والاسلامية او انها غير مهتمة بتغيير اسلوب الخطاب لديها. وقال ان الفوز في الحرب على الارهاب يتطلب اكثر من الكلمات والاموال ومناورات الدبلوماسية العامة معتبرا أن «الجهل هو المشكلة الرئيسية هنا وهو ما تعتمد عليه «القاعدة»، ومن ثم فان الحرب على الجهل ينبغي ان تتم من خلال قيام المسلمين وغير المسلمين بتعلم الاسلام بشكل أفضل كما يجب على الولايات المتحدة ان تنفذ الى الشرق الاوسط بشكل حقيقي».

برغم اصرار الغربيين على توصيفاتهم للارهاب بما يمثل تجنيا على العرب والاسلام، فان الامم المتحدة ما تزال حتى الآن لم تتفق على توصيف واضح ومحدد لهذا المفهوم، لان قوانينها ومواثيقها لا تعتبر مقاومة الاحتلال إرهابا، بل حقا مشروعا لمن يقع تحت طائلة الاحتلال. مشكلة التحالف الامريكي الاسرائيلي انه يسعى لخلط المفاهيم، وتعميم الارهاب ليشمل نضال الشعوب لتحقيق استقلالها، ويعمل على محورين: اولهما تعميم كافة أعمال العنف، بما فيها الكفاح المسلح ضد الاحتلال تحت عنوان «الارهاب»، وثانيهما: عسكرة الوضع الاقليمي والدولي بحجة الحرب ضد الارهاب. واشنطن تنظر للعمل العسكري الاسرائيلي، مهما كان حجمه، بانه دفاع مشروع عن النفس، مهما كان وقعه على المدنيين. وما تعرض له لبنان هذه المرة من تدمير شامل، كشف حالة السقوط الاخلاقي والنفسي لدى حكام واشنطن، وأكد غياب المشاعر الانسانية لديهم. انه تدمير شامل بلا حدود، وبدون وازع من دين او ضمير او أخلاق. والأشد وقعا على النفس موقف حكومات الدول العربية الذي لم يكتف بالصمت، بل عمد، في بعض الحالات المخزية، للوقوف ضد المقاومة. وقد تصدرت المملكة العربية السعودية هذا الموقف المهين، وأكدت حكومتها، مرة أخرى، تبعيتها للموقف الامريكي، وتبعتها حكومتا مصر والأردن. جاءت مواقف تلك الحكومات بعد ساعات فقط من الطلب الذي وجهه الرئيس الامريكي للحكومات العربية الاسبوع الماضي بضرورة شجب موقف المقاومة الاسلامية في لبنان وفلسطين، فما كان من هذه الانظمة الا الاستجابة الفورية. الصهاينة يواصلون عدوانهم الشنيع ضد لبنان وشعبه، مستخدمين كافة وسائل القتل والتدمير، وكان الأحرى بالحكومات العربية، في ظل التجاهل الدولي والتماسك الغربي ضد قضايا العرب والمسلمين، اظهار بعض التماسك والحزم، ولكن ذلك لم يحدث، فضلا عن التلويح بتقليص الامدادات النفطية للدول التي ترعى الارهاب الاسرائيلي. ألا يؤدي هذا الوضع الى تعمق حالة الإحباط واليأس التي تفتح الطرق أمام العنف والإرهاب؟ ان العدوان الاسرائيلي، والدعم الامريكي والسعودي والمصري والاردني، لا يؤكد فشل مشروع «الحرب ضد الارهاب» فحسب، بل يكرس إرهابا أكبر، تمارسه حكومات هذه الدول بما تمتلكه من امكانات عسكرية مدعومة بأموال النفط العربي، وهذه هي أم المصائب.

* كاتب وصحافي بحريني يقيم في لندن

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(212 37)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364